البيت المرواني

# مروان بن الحكم

٦٤ـ ٦٥ هـ / ٦٨٤ـ ٦٨٥م

هـو **مـروان بن الحكم** بن أبي العاص بن أمية القرشي، أبو عبد الملك ويقال أبو القاسم ويقال أبو الحكم، المـدني. البعض يجعله من صغار الصحابة والبعض يجعله من كبار التابعـين. ولد عام ٢ هـ، وقيل: ٤ هـ بمكة المكرمة، وتوفي سنة ٦٥ هـ بدمشق. أمه أم عثمان آمنة بنت علقمة بن صفوان الكنانية.

روى عنـه: ابنـه عبـد الملك، وسهل بن سعد الساعدي. وهو أكبر منه.، وسعيد بن المسيب، وعلي بن الحسين، وعـروة بـن الزبـير، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحـارث، وعبيد الله بن عبد الله بـن عتبة، ومجاهد، وأبو سفيان مولى ابن أبي أحمد.

ذكـر ابـن حجر في تهذيـب التهذيب قول البخاري: إن مـروان لم ير النبـي ﷺ. وقـال ابن عبد البر في الاستيعاب: ولد يوم الخندق. وعن مالك أنه ولد يوم أحد وقد قال مروان في كلام دار بينه وبين روح بن زنباع عندمـا طلب الخلافة: ليس ابـن عمر بأخير مني ولكنه أسن مني، وكانت له صحبـة. وعاب الإسماعيلي على البخاري تخريج حديثه وعدّ من مويقاته أنه رمى طلحة أحد العشرة يوم الجمل وهما جميعاً مع عائشة، فقتل، ثم وثب على الخلافة بالسيف، واعتذرت عنه في مقدمة شرح البخاري، وقول عروة بن الزبير: كان مروان لا يتهم في الحديث، هو في رواية ذكرها البخاري في قصة نقلها عن مروان عن عثمان في فضل الزبير.

كان مروان كاتباً لعثمان بن عفان رضي الله عنه في أثناء خلافته، وتولى إمرة المدينة وموسم الحج في عهد معاوية بن أبي سفيان، واستمر كذلك في أوائل عهد يزيد بن معاوية حتى أخرج من المدينة إلى دمشق بعد أن رفض أهل المدينة مبايعة يزيد بن معاوية.

بويع له بالخلافة من قبل بني أمية بعد موت معاوية بن يزيد. كان نفوذ الأمويين قد ضعف حيث بايعت أغلب الأقاليـم الخليفة عبد الله بن الزبير. حتى الشام، معقـل نفوذ الأمويين كانت قد انقسمت بين مبايعين لمروان ابن الحكم ومبايعين لعبد الله بن الزبير، وعلى رأسهم الضحاك بن قيس الذي سيطر على دمشق.

هاجـم مـروان جيش الضحاك فواقعه بمرج راهط وهزمـه. بعد السيطرة على الشام، خرج مروان بجيشه إلى مصـر التـي كانت قد بايعت عبد الله بـن الزبير ودخلها وولّى ابنه عبد العزيز بـن مروان عليها. بسقوط مصر التي كانت تمد عبد الله بن الزبير بالغلال في مكة أصبح وضعه ضعيفاً.

بعـث مـروان بجيشين أحدهمـا إلى الحجاز لمحاربة عبد الله بن الزبير، والثـاني لمحاربة مصعب بن الزبير شقيـق عبد الله ووالیه على العراق. هُزم الجيش الأول بينما لم يحقق الجيش الثاني أهدافه. مات مروان وقد نجح في اخضاع الشام ومصر للأمويين بينما فشل في السيطرة على الحجاز والعراق.

تـولى ابنـه عبد الملك بن مروان سُدة الخلافة في الدولـة الإسلامية من بعده، ونجح في القضاء على عبد الله بن الزبير « الخليفة الشرعي » وبسط سيطرته على كافة الدولة الإسلامية .

## خروج مروان بن الحكم على خلافة عبد الله بن الزبير

قال الحموي: بعد موت يزيد بن معاوية وليَ ابنه معاوية مائة يوم ثمّ ترك الأمر واعتزل وبايَعَ الناسُ عبدالله بن الزبير، وكان **مروان بن الحكم** بن أبي العاص بالشام فهَمّ بالمسير إلى المدينة ومبايعة عبدالله ابن الزبير، فقدم عليه عبيدالله بن زياد فقال له: استحييتُ لك من هذا الفعل إذ أصبحتَ شيخ قُرَيش المشار إليه وتُبايع عبدالله بن الزبير وأنت أولى بهذا الأمر منه؟ فقال له: لم يفت شيء، فبايعه وبايعه أهل الشام وخالف عليه الضحاك بن قيس الفهري وصار أهل الشام حزبين[١].

حيث بدأ مروان بن الحكم -بعد أن تزعم المعارضة الأموية- بتوحيد صفوفه والدخول في صراع ضد ابن الزبير، ولم يبدأ مروان بمواجهة ابن الزبير في الحجاز، وإنما لجأ إلى انتزاع الأقاليم البعيدة وذلك ليحسر نفوذه أولاً ومن ثم يتيسر له القضاء عليه[٢].

وجاء مروان بن الحكم إلى الحكم بعد عقد مؤتمر **الجابية** لأهل الشام، ومنذ تلك اللحظة تَطَلَّع مروان إلى الخلافة، ولكن الأمر لم يكن سهلاً ميسوراً فقد واجهته عدة صعوبات، فقد كان القيسيون بالشام قد بايعوا لابن الزبير، كما أن اليمنيين -أنصار بني أمية- كانوا منقسمين إلى فريقين: فريق يميل إلى بيعة خالد بن يزيد بن معاوية، ويتزعمه حسان بن مالك بن مجدل الكلبي، ومالك بن هبيرة السكوني، والفريق الآخر يميل إلى بيعة مروان، ويتزعمه روح بن زنباع الجذامي والحصين بن نمير السكوني، ومعهم عبيد الله ابن زياد.

لقد كان توحيد موقف أنصار الأمويين هو نصف الطريق إلى النجاح، وبعد مناقشات ومداولات تغلب الفريق الثاني، الذي يؤيد مروان، وكان حُجَّتُهُم في ذلك أن خالد بن يزيد لا يزال صغيراً، وليس نداً لابن الزبير، فقد قالوا لمعارضيهم: "لا والله لا تأتينا العرب بشيخ -يقصدون ابن الزبير- ونأتيهم بصبي" فاتفقوا على حل يرضي الجميع وهو أن تكون البيعة بالخلافة لمروان، ثم من بعده لخالد بن يزيد، ومن بعده لعمرو بن سعيد الأشدق، واتفقوا على عقد مؤتمر في **الجابية** لإنهاء المشكلة[٣].

أما الضحاك بن قيس زعيم الفريق الذي مال إلى ابن الزبير بل بايعه فقد مال إلى بني أمية من جديد -حيث كان من أقرب رجال معاوية وابنه يزيد وكان الحاكم الفعلي لدمشق منذ وفاة يزيد وحتى بيعة مروان- فأرسل إليهم يعتذر عن خروجه عن طاعتهم وأعلن أنه سيحضر مؤتمر الجابية، ولكنه لم يستطع المضي في خطته، فقد مُورِسَتْ عليه ضغوط للبقاء على بيعته لابن الزبير من رجاله وبصفة خاصة ثور بن معن السلمي فلم يذهب إلى الجابية بل ذهب إلى مرج راهط حيث دارت المعركة الحاسمة بينه وبين مروان.

---

١ - الحموي، معجم البلدان، ج٢، ص٣٠٦.

٢ - د. الخراسي، عبد الله بن الزبير، ص ١٥٢.

٣ - الموقع الإلكتروني لقصة الإسلام، إشراف الدكتور راغب السرجاني.

# موقع مؤتمر الجابية

**من أهم قرارات مؤتمر الجابية:**

كانت أهم قرارات مؤتمر الجابية، عدم مبايعة ابن الزبير، واستبعاد خالد بن يزيد من الخلافة لأنه غلام، والعرب لا تحب مبايعة الأطفال من ناحية، ومن الناحية الأخرى هم الآن في أزمة، وهم أحوج إلى الرجل المجرب الخبير علّه يقودهم إلى النصر وينقذهم من وضعهم المتدهور، ومبايعة مروان بن الحكم وهو الشيخ المحنك، وأن يتولى الخلافة بعد مروان على هذا الشرط شفوياً، والاستعداد لمجابهة وقتال المخالفين أتباع ابن الزبير في الشام بادئ الأمر. (عبد الله ابن الزبير، للناطور ص١٣٢).

**الجابية:** موقع تاريخي في سوريا ويعرف اليوم بتل الجابية ويقع إلى الغرب من مدينة نوى الواقعة بسهل حوران، له شهرة في التاريخ الإسلامي ترجع إلى حدثين هامين في القرن الأول للهجرة:

١ - عندما حاصر أبو عبيدة بن الجراح مدينة القدس عام ١٥ هـ (٦٣٦ م) طلب أهلها أن يتم تسليمها إلى أمير المؤمنين نفسه فاستجاب عمر بن الخطاب لهذه الرغبة، ونزل عند قدومه الشام بالجابية واجتمع بقواده في فتح الشام أبي عبيدة وخالد وعمرو وشرحبيل ويزيد. ودخل القدس صلحاً، كما صالح أهل "إيلة"، على الجزية، وبعث الأمان إلى أهل الرملة.

٢ - عندما توفي معاوية الثاني عام ٦٤ هـ (٦٨٣ م)، اختلف الناس في البيعة لخلفه بين خالد بن يزيد (ابن معارية)، وبين مروان بن الحكم وكاد الخلاف يهدد بانهيار البيت الأموي. وفي نفس السنة انعقد في الجابية مؤتمر بويع فيه مروان بالخلافة على أن تكون من بعده لخالد بن يزيد ثم لعمرو بن سعيد بن العاص. ومن الآثار الهامة للمؤتمر، انتقال الخلافة في هذا التاريخ من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني من بني أمية.

# معركة مرج راهط ٦٤ هـ / تموز ٦٨٤ م

تمثل هذه المعركة مظهراً من الصراع الداخلي في الدولة الأموية بين القيسيين المؤيدين لعبد الله بن الزبير، والكلبيين المؤيدين للأمويين. وكان **الضحاك بن قيس** الذي يلي أمور دمشق باسم الأمويين متأرجحاً في موقفه، ولكنه أعلن تأييده لابن الزبير أسوة ببقية الولاة. إلا أن الأمويين الذين طردوا من المدينة وعبيد الله بن زياد الذي هرب من البصرة اجتمعوا في دمشق لنصرة الأمويين. واضطر الضحاك للعدول عن موقفه أكثر من مرة، ونزل مع أتباعه **بمرج راهط** قرب دمشق، وأعلن موقفه أخيراً بولائه لابن الزبير. واجتمع حوله معظم أهل دمشق ممن يؤيدون رأيه، وبلغ عددهم نحو ثلاثين ألفاً. بينما اجتمع الأمويون من سفيانيين ومروانيين في **الجابية** واتفقوا على التمسك بحقهم في الخلافة. واتجهوا إلى مرج راهط بسبعة آلاف مقاتل تحت لواء مروان بن الحكم الذي قبل بتزعم الأمويين واستلام الحكم بعد أن أيد ابن الزبير سابقاً. ودامت المعركة بين الطرفين عشرين يوماً أسفرت عن مقتل الضحاك وبعض أنصاره. وهرب القيسيون وثبت الحكم للأمويين، ولكنه تحول من الأسرة السفيانية إلى الأسرة المروانية.

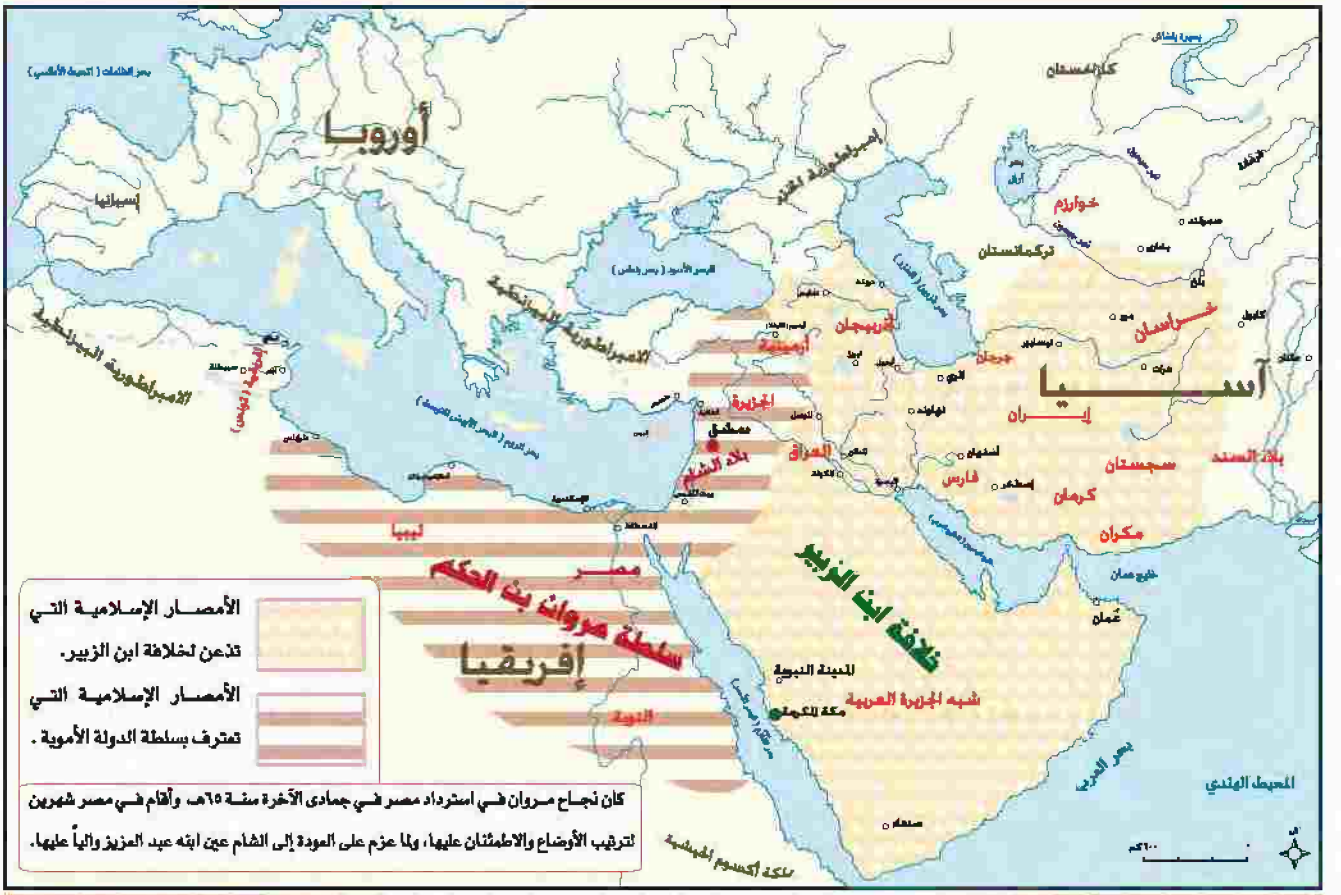


## الوضع السياسي العام بعد معركة مرج راهط

**من أبرز نتائج معركة مرج راهط:** - أعادت هذه المعركة المُلك لبني أمية بعد أن كان مهدداً بالزوال، وحولت السلطة من الفرع السفياني إلى الفرع المرواني. - تخلص الأمويون من الضحاك بن قيس الذي كان يعد معارضاً قوياً للأمويين، وتابعاً مخلصاً لابن الزبير. - سقطت قنسرين في يد الأمويين وهرب واليها زفر بن الحارث فتوجه إلى قرقيسيا، وكان عليها عياض الحرثي -حسب قول ابن الأثير-. - سقطت فلسطين وهرب نائل بن قيس الجذامي إلى ابن الزبير. - سقطت حمص وقتل واليها النعمان بن بشير. - اندلع الصراع بين اليمنية والقيسية ودخلت العصبية القبلية مسرح السياسة العليا للدولة، وإذا كان يوم مرج راهط قد انتصر فيه الكلبيون فقد كان نصراً مؤقتاً، وكان الصراع بين العصبتين القيسية واليمنية من أسباب انهيار الدولة الأموية.

**الخلاصة:** استطاع الأمويون من ضم مصر إليها ومحاولة إعادة العراق والحجاز مكّن انتصار مروان في معركة مرج راهط لدولته في الشام فبسط نفوذه عليها، وكانت خطوته التالية هي المسير إلى مصر لاستردادها من عامل ابن الزبير، وكانت هذه خطوة تدل على ذكاء مروان، فلمصر أهميتها الكبيرة، واستيلاؤه عليها يدعم موقفه في مواجهة ابن الزبير، ولم يكن استيلاؤه عليها صعباً، فمعظم المصريين هواهم مع بني أمية، وبيعتهم لابن الزبير لم تكن خالصة وإنما كانت بيعة ضرورة، ودعا مروان مناصري بني أمية بمصر سراً وهذا ما يفسر سهولة استيلاء مروان على مصر، فقد سار إليها بجيشه، ومعه عمرو بن سعيد، وخالد بن يزيد بن معاوية، وحسان بن مالك، ومالك بن هبيرة وابنه عبد العزيز، ودارت بين مروان وابن جحدم عدة معارك انتصر فيها مروان وهرب ابن جحدم، ثم جاء إلى مروان طالباً العفو على أن يخرج إلى مكة. الصلابي، الدولة الأموية، ص ٥٧٤ - ٥٧٥ .